أهداف المحاضرة:

- ✓ التعرف على علاقة الفلسفة بالدين.
- ✓ أسباب الصراع بين الفلاسفة ورجال الدين
- ✓ **عوامل التلاقي بين الدين والفلسفة.**
- ✓ دور الفلسفة في العملية التنويرية .
- ✓ التعرف على ماهية المفارقة.
- ✓ التعرف على الاتجاه المؤيد لأهمية الفلسفة للعلم.
- ✓ التعرف على الموقف المعارض لأهمية الفلسفة للعلم.
- ✓ التعرف على العلاقة التكاملية بين الفلسفة والعلم.
- ✓ أهمية فلسفة العلوم.

5_ علاقة الفلسفة بالمعارف والعلوم:

أ _ علاقة الفلسفة بالدين:

منذ بداية الاجتماع البشري، كان للدّين والفلسفة دورٌ مهمٌ في حياة الناس، لإدراك ما لم يتم تفسيره من الظواهر الكونية والطبيعية والاجتماعية؛ إذ استطاع الدين والفلسفة الإجابةَ عن الأسئلة الحائرة التي كان تدور في خلد الإنسان قديمًا. وكانت الفلسفة الوسيلةَ العقلانية لتفسير معاني الخلق والحياة وقوى ما خلف الطبيعة، فنجحت قبل ظهور الأديان، كما في اليونان والهند والصين وغيرها، ثم جاءت الأديان لتجيب عن الأسئلة الفلسفية الخالدة، من أين؟ وإلى أين؟ ولماذا؟!

ولكن عندما تم تحويل الدين إلى وسيلة للسيطرة على الشعوب، من قبل القصر والكنيسة، والفقيه والسلطان؛ وقع الصدام بين الفلاسفة ورجال الدين، لا بين الدين والفلسفة؛ إذ وجد رجال الدين أن الفلاسفة سيكشفون خداعهم، وسيحررون الإنسان من قيود الوهم التي كبلوه بها، فتم اضطهاد الفلاسفة من قبل السلطات الدينية والسياسية، بتهمة الهرطقة، حتى قيل لا يوجد فيلسوف قتلَ رجلَ دين، ولكن هناك العشرات من رجال الدين قتلوا فلاسفة.

وهنا يأتي السؤال: لمَ هذا الصراع بين رجال الدين والفلاسفة؟

كي نفكّك هذا الموضوع الشائك عند أنصار الطرفين؛ لا بد أن نمرّ بطرقات ممتلئة بالألغام، وقد لا نصل إلى رضا أيّ من الطرفين، ولكننا نريد لذوي الألباب أن يعرفوا ألّا تضاد بين الدين والفلسفة، ولكنّ هناك صراعًا بين رجال الدين والفلاسفة، والفارق عندئذ يغدو كبيرًا، لذا لا بدّ من المرور بمحطات ونحن في الطريق للإجابة عن هذا السؤال.

معنى الدين والفلسفة

الدين -في تعريفه البسيط- هو عقيدة وشريعة وأخلاق. يلتزم بها المؤمن، ليعبّر عن صدق انتمائه للدين. ويتفق أتباع الملل والنحل كلهم على أن شرط التكليف الديني هو العقل أولًا. لذلك قال اللاهوتيون: "العقل مناط التكليف". وهنا، يلتقي الدين بالفلسفة، لكن قبل ذلك ما تعريف الدين عند الفلاسفة؟

يقول **سيسرون**، في كتابه (عن القوانين): "الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله". أما **كانط**، فقال في كتابه (الدين في حدود العقل): "الدين هو الشعور بواجباتنا، من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية ."وقال **الأب شاتل**، في كتاب (قانون الإنسانية): "الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق: واجبات الإنسان نحو الله، وواجباته نحو الجماعة، وواجباتـه نحو نفسه"[1]

وأما معنى الفلسفة، فما زال ملتبسًا حتى عند بعض أنصارها، وعلى محركات البحث الإلكتروني، حيث يعرفون الفلسفة بأنها "حبّ الحكمة"، والفيلسوف هو "محبّ الحكمة". ولكن بتمحيص هذا التعريف، نكتشف أنه ليس دقيقًا. فلو رجعنا تاريخيًا إلى اللحظة التي وُلِد فيها المصطلح، فستتجلى لنا حقيقته، إذ تقول الرواية بأن مجموعة من البحارة اليونانيين، في القرن السادس قبل الميلاد، وجدوا كنزًا في بحر "إيجة"، فاتفقوا على أن هذا الكنز يستحقه أحد أصحاب الحكمة السبعة في أثينا، فجاؤوا إلى أولهم وقالوا له: "أنت صاحب الحكمة وتستحق هذا الكنز". فقال لهم: "أنا لستُ صاحب الحكمة، ولذلك لا أستحقه". فذهبوا إلى الحكيم الثاني، فكان جوابه كالأول، وكذلك الثالث والرابع حتى وصلوا إلى **فيثاغورث** الحكيم السابع: فقال لهم: "أنا لستُ صاحب الحكمة، إنما صديق الحكمة". ومن هنا؛ جاء لقب فيلسوف أي صديق الحكمة المتواضع؛ فهي في اليونانية (فيلوش) وتعني الصديق، و(شوفيا) وتعني الحكمة.

وإذا كان للدين أجوبة قطعية حول نصوص سماوية، تحتمل التأويل، فإن الفلسفة هي تساؤل مستمر عن الواقع، ومحاولة للإجابة عنه منطقيًا، فكلّ ما لا يقدر العِلم على الإجابة عنه تأتي الفلسفة والدين للإجابة عنه.

فالفلسفة هي أن تعيش حياتك بحكمة، وتفهم إيمانك بعقلانية، وتتعامل مع الأشياء برشد، وهذا مقصد رئيس من مقاصد الدين، يحاول أن يقربه لنا الفيلسوف **ابن رشد**، في التلاقي بين الدين والفلسفة، بقوله: هي "النظر في الموجودات، واعتبارها من جهة

---

[1] الدكتور عبد الله دراز، **الدين**، دار القلم، الكويت، 1982م، ص 34.

دلالتها على الصانع، وكلما كانت المعرفة بصنعتها أتم، كانت المعرفة بالصانع أتم .[2]" والأمر ذاته ذهب إليه كانط، بقوله: "إن الفلسفة هي المعرفة الصّادرة من العقل .[3]"إذن بحسب التعريفين، نستطيع القول إن الإيمان الحقيقي يجب أن يكون عقلانيًا.

عوامل التلاقي بين الدين والفلسفة!

هناك عوامل كثيرة يلتقي فيها الدين بالفلسفة، على اعتبار أننا في هذه الورقة نرفض فكرة التضاد بينهما، كما نرفض فكرة اتهام الفلاسفة جملة واحدة بالإلحاد، فالطرق إلى معرفة الخالق بعدد أنفاس الخلائق، ومنها طريق الفلسفة. وأهمّ عوامل التلاقي أنّ الفلاسفة والأنبياء لا يموتون، فهم باقون مدى الحياة، بذكرهم وأفكارهم وأجوبتهم، إضافة إلى دورهم في الأخلاق الإنسانية، وهذا ما لم يدركه بعض المتدينين، والفلسفة تجيب عن الأسئلة التي لا يستطيع العلم الإجابة عنها، وهنا تلتقي بالدين، عندما يجيب عن أسئلة ماورائية.

وبما أن الفلسفة معناها الحكمة، فكل الأنبياء ملكوا هذه الخاصية العظيمة، فما من نبي تحدث عنه القرآن إلا وذُكِر أنه يمتلك الحكمة إلى جانب النبوة، فذُكِرت الحكمة (18) مرة في القرآن الكريم، منها: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ} البقرة:129، ومنها: {وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} النساء:113. ثم يبين القرآن الكريم أن الخير الكثير عند من يمتلك الحكمة: {وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ} البقرة:269. فكما أن كل نبي فيه شيء من الفلسفة باعتبار التعريف السابق، فإن كلّ فيلسوف فيه شيء من النبوة، باعتبار الحكمة والمنطق.

واليوم، الحاجة ملحة إنسانيًا إلى الدين والفلسفة، إذ لا يمكن أن يُترك للعلم الذي تسيطر عليه الشركات العملاقة متعددة الجنسيات، وتسيّره وفق مصالحها، أن يتصرف في الإنسانية كما يشاء بماديته المتوحشة، ليصوغها وفق استراتيجية مصالحه وأرباحه، ومن هنا تكون الحاجة إلى الدين والفلسفة.ويقول المفكر الفلسفي **محمد أركون**" :إن

---

[2] ابن رشد، **فصل المقال**، دار المشرق، بيروت، ط2، 1968 ص 27-28

[3] :Sahli Yacine تعريف الفلسفة. over blog.2011 .

الإنسان لا يمكن أن يعيش بلا دين، وهذا ما يقوله علم الأنثروبولوجيا، ولكن يجب أن يدرك المتديّن أنّ هذا الدين له تجلياته وتحولاته .[4]

والفلسفة تجيب بمنطق عاقل عن الأسئلة التي يطرحها العقل، حول غربة الإنسانية في عصر العلم والجشع الاقتصادي، والدين يمنحه تلك الروحانية في عصر الخواء الإنساني الذي تفرضه المادية المحتلة لكل زوايا الحياة المعاشية باسم العلم، فكما تجيب الفلسفة بعقلانية عن التساؤلات، يأتي الدين ليفيض بروحانيته على النفس البشرية ليسمو بإنسانيتها.

دور الفلسفة في العملية التنويرية:

للفلسفة دور كبير في تنوير العقل والقلب، لتنتشلهما من التديّن المزيف والمغشوش، وتخلّص الإنسانَ من قيود الدين الموازي الخاوي إنسانيًا والمهزوم عقلانيًا، من خلال إضاءات تنويرية، فتعيد للعقل دوره الوظيفي في فهم الأشياء، فالفلسفة هي أرقى أدوار التنوير، وهي المؤسِسة له؛ ففي عام 1784، طرحت صحيفة ألمانية على الفلاسفة سؤالًا: ما التنوير؟ فكانت إجابة الفيلسوف **كانط** هي المتفق عليها :**التنوير هو خروج الإنسان من القصور الذي ارتكبه في حق نفسه، من خلال عدم استعماله لعقله إلا بتوجيه إنسان آخر .**ولهذا يكون التنوير صرخة الفلاسفة (اجرُؤ على استخدام فهمك الخاص).

وبذلك، يتحرر الإنسان من التبعية للآخرين ومن الأغلال الموهومة التي أشار إليها **أفلاطون** في رمزيته "أسطورة الكهف"، في الباب السابع من كتاب (الجمهورية). فالكهف يرمز إلى المعرفة الموهومة والخاطئة في تصور الأشياء، وقد شبّهها بسجين في كهفٍ مقيد بسلاسل، وخلفه نار ملتهبة تضيء الأشياء وتطرح ظلالها على جدار أقيم أمامه، فهو لا يرى الأشياء على حقيقتها، بل يرى ظلالها المتحركة المنعكسة من الضوء، ويظنها حقائق. فالكهف في هذه الرمزية هو العالم المحسوس، والظلال هي المعرفة الحسية، والأشياء الحقيقية التي تحدث هذه الظلال هي المُثُل. وعلى هذا، فإن الفيلسوف -بحسب أفلاطون- هو الذي يرتقي بنفسه ويفكر في المُثُل الجوهرية التي تكمن وراء المظاهر الخارجية، ويعرف الحقيقة، ويميّز العَرَض من الجوهر. فبحكمة الفيلسوف وتنويره، يفك تلك الأغلال الفكرية الموهومة التي اعتقلت المجتمع، لذلك

---

[4] محمد أركون، **الإسلام والحداثة**، ترجمة: هاشم صالح، دار بدايات، جبلة، 2008م، ص 29.

عندما يكشف التنوير الديني والفلسفي هذه الأوهام، فإن هذا السجين يظنّ أنه قد تم الاعتداء على مقدساته الموهومة، الممنوع الاقتراب منها، أو نقدها، أو بيان بطلانها[5].

العلم بين الدين والفلسفة

اهتمّ الدين بالعلم، وجعل العمل به من أجَلِّ العبادات، ولو تتبعنا مفردة (علم) في القرآن، فسنجد أنها تكررت بمشتقاتها (779) مرة، بمعدّل تقريبي سبع مرات في كلّ سورة، إضافة إلى مفردات أخرى جاءت في القرآن الكريم ذات دلالة علمية مثل الهدى، والعقل، واليقين، والحُجّة، والبيّنة، والفكر، والنظر، والفقه، والبرهان، والحكمة، والدليل، والآية.

كذلك الفلسفة فتحت أبوابًا أخرى للعلم، ولقد باتت المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية، التي ابتدعها الفيلسوف **نيوتن**، عام 1687، هي مبادئ علوم الفيزياء والفلك والطب. وفي القرن التاسع عشر، فتحت الفلسفة بابًا لعلوم غاية في الأهمية، كعلم الاجتماع والنفس والتربية والأخلاق، وعاش العلم عقودًا طويلة على كتاب (الشفاء) للفيلسوف **ابن سينا**، الذي يُعدُّ موسوعةً علمية وفلسفية، تتحدث عن المنطق، والعلوم الطبيعية، والرياضيات، والميتافيزيقا. وقد قدّم ابن سينا للبشرية كتابه "القانون في الطب"، وهو موسوعة في مجال الطب، الذي اعتُمِد كمرجع أساسي لتدريس الطب في كثير من الجامعات حتى القرن الثامن عشر. وكذلك الفيلسوف **أبو بكر الرازي**، الذي قدّم للعلم كتابه (الحاوي في الطب) الذي وُصِف بأنه موسوعة عظيمة في الطب، وبقي مرجعًا علميًا في بابه قرونًا عددًا، حتى وصفته **سيغريد هونكه**، في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) بأنه "أعظم أطباء الإنسانية على الإطلاق". بهذا المعنى، كان الفلاسفة أصحاب التطبيق العملي لدعوة الدين إلى الاهتمام بالعلم، في سبيل الإنسانية كلّها، على حين أن رجال الدين كانوا يعدّون الأمراض "من حقد الشيطان وغضب الله"، كما ادعى أحد آباء الكنيسة **أوغسطين**؛ إذ قال: "إن أمراض المسيحيين مردّها إلى الشياطين". وكانت الكنيسة تتربح من أمراض الناس، وتبيع التعاويذ والتمائم لهم، واعتبرت الكيمياء فنًا شيطانيًا خبيثًا، فأدان البابا المشتغلين بها عام 1317م، وسُجن "روجر بيكون" عام 1292، بسبب اشتغاله بالبحث العلمي، ثم أصدر البابا "أنوسنت" الثامن الأمرَ البابوي عام 1484 الذي أكد فيه أن "الطاعون من عمل الساحرات"، فأعدموا كلّ مشتبه به، آنذاك.[6]

---

[5] أسطورة الكهف (Allegory of the Cave): https://www.syr-res.com/article/20654.html

[6] توفيق الطويل ، قصة النزاع بين الدين والفلسفة،

لا يوجد دين وضعي أو سماوي يتعارض مع العلوم، وإنّ ادعاء تعارض الفلسفة مع الدين باطلٌ. فلا تعارض بين الدين الحنيف والفلسفة، لأن كليهما يبغي الحق والحكمة، وخير الإنسانية جمعاء. والفلسفة تساءلت قبل الأديان وما قبل سقراط: ممّ صُنع هذا الكون؟ وكانت أسئلتها مقلقة للكهنة، لذلك أُطلق على سقراط لقب "الذبابة"، لأنه بدأ يتحرش بالعقل الراكد، بأسئلة تحتاج إلى إجابات، ويقول الكاتب **حسن مدن**" :لعل أفلاطون هو من وصف أستاذه سقراط بأنه كالذبابة التي تلدغ الخيل، فتدفعها إلى الحركة"، قائلًا: "إن حواراته الفلسفية تلدغ البشر وتدفعهم إلى التفكير والتبصر"، وهو تعبير أطلقه **سلامة موسى** على نفسه، حين قال: "إنني العضو المقلق للمجتمع المصري، مثل ذبابة سقراط أنبّه الغافلين وأثير الراكدين وأقيم الراكعين الخاضعين".[7]

هل اصطدمت الفلسفة بالدين؟

إن الفلسفة لم تصطدم مع الدين، لكنها اصطدمت مع رجال الدين، ورفضت سلطتهم على الناس، وإذا قيل إن الفلسفة تطرح الشك من خلال أسلتها، فالشك ممدوح للوصول إلى المعرفة، وهذا ما طرحه القرآن الكريم في حوارية إبراهيم مع ربه: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} البقرة 260؛ فالشك جائز في البحث الإيماني، لأنه سبيل للمعرفة الحقيقية، والدين لم يطرح الإيمان كمسألة تسليم انقيادي دون وعي عقلي، إنما أراد إخضاع قمة الإيمان للبحث العلمي والعقلانية قائلًا: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} محمد 19.

العلاقة بين الدين والفلسفة:

إنّ الحقيقة هي العلة المنشودة دينيًا وفلسفيًا، والبحث عنها كانت مهمة الفلاسفة الأوائل، وكذلك كان هدف الدين، مما جعلنا نجد أوجه تشابه كثيرة بينهما، ولقد طرح الدكتور **توفيق الطويل**، أحد أهم رواد الفلسفة الأخلاقية في شرقنا البائس، موضوع العلاقة بين الدين والفلسفة، في كتابه المهم (قصة النزاع بين الدين والفلسفة)، إذ أوضح أن غالبية فلاسفة الإسلام توصلوا إلى أنّ هدف الدين يتشابه مع هدف الفلسفة، إذ إنّ كليهما يريد تحقيق السعادة للإنسان.[8]

---

[7] حسن مدن، **ذبابة سقراط**/www.alkhaleej.ae .

[8] توفيق الطويل، **قصة النزاع بين الدين والفلسفة**.، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2019، ص 58.

وهذا لا يعني أن علاقة الفلسفة مع أعلام إسلامية تاريخية كانت على ما يرام، ولكن هذا الخلاف كان مع أصحاب العقول النصوصية، الذين نفّروا المسلمين من كلّ ما يتعلق بالفلسفة، وأوّلوا زورًا وبهتانًا قولَ الرسول حينما استعاذ بربّه من "علم لا ينفع"، فقالوا إنما أراد علوم الأوائل التي هي الفلسفة اليونانية، وهذا تأويل باطلٌ لا دليل عليه.

فهم ذمّوا من قبلُ علم الكلام "اللاهوت الإسلامي"، لأنه يعالج قضايا الإيمان والاعتقاد عقليًا، الذي أبدعه الأشاعرة والماتريدية، لكونه في بعض جوانبه يستخدم الأدوات الفلسفية. والعقل النصّي عقلٌ تمت أدلجته عبر قرون تحالف السلطة والفقهاء، وكان من نتائج هذا التحالف خصومة وحرب على الاتجاه الفلسفي الإسلامي، ولكي يذمّوا التيار العقلاني (معتزلة وماتريدية وأشاعرة)، قاموا بشيطنة الفلسفة وزندقتها، والتحذير من العمل بها.

وقد انبرى ابن رشد انبرى للدفاع عن الفلاسفة، وردّ على الغزالي، في كتابه الشهير (تهافت التهافت) مثبتًا إمكانية التوفيق بين الفلسفة والدين، وجاء بنصوص قرآنية تدعم ذلك، وبيّن ضرورة الانتفاع من الإرث الفلسفي، وأن عملية التأويل تُخرج التضادية من كل التباس، وأن التعارض متوهم بين الدين والفلسفة،" **لأن الحق لا يضاد الحق"**، وإذا وقع تعارض بين العقل والنقل (الحق الديني والحق الفلسفي) يخضع النقل للتأويل لإزالة الالتباس؛ إذ "لا يمكن أن يمنحنا الله عقولًا وينزل علينا شرائع تخالفها"، على حد قول ابن رشد.

ولا شك في أن الفلاسفة ليسوا جميعًا في سلة واحدة في موضوع الإيمان، وكذلك لم يكن علماء المسلمين على قراءة واحدة للفلسفة، فكانت الحملة شنيعة على الفلسفة والفلاسفة، لكن لم يستطع أي منهم أن يأتي بنص قرآني يمنع الفكر الحر والرؤية العقلانية، فتحميل الفلاسفة جريرة كفرية فيه تمحّل، واعتماد ظاهر آرائهم فيه حكمٌ على النيات، إذ لا محاكم تفتيش في الإسلام.

خلاصة:

لم تختلف الفلسفة مع الإيمان، فكلاهما ينشدُ الحق والحقيقة، وكلاهما من مقاصده سعادة الإنسان، ولكن بالتأكيد وقع خلاف بين الفلاسفة ورجال الدين ، وليس بين الدين والفلسفة. وبعض الفلاسفة كان لهم مفهوم آخر للدين، ولكن ليس كل الفلاسفة؛ فالفلسفة تمثل القدرة العقلية على التفكير النقدي ضد الأوهام، وهنا تلتقي مع الدين. والدين يمنحك القدرةَ على ممارسة الحياة نفسها، ومعرفة معناها، وكذلك الفلسفة. وكما أن الدين الحنيف يمنحك القدرة على العيش المشترك، كذلك الفلسفة. والدين يأمرك أن تمرر تعاليمه على عقلك، فإن اقتنع بها، استقرت في فؤادك كيقين، وهنا يكون دور الفلسفة عقليًا.

يقول **ديكارت،** في كتابه (مبادئ الفلسفة): إن الفلسفة وحدها هي التي تميّزنا عن الأقوام المتوحشين والهمجيين، وإنما تُقاس حضارة الأمة وثقافتها بمقدار شيوع التفلسف الصحيح فيها، ولذلك فإن من أجلِّ نعمة يُنعم الله بها على بلد من البلاد هو أن يمنحه فلاسفة حقيقيين.

ب/ علاقة الفلسفة بالعلوم:

أ/ تعريف العلم:

يذهب ألكسيس رونبرج في كتابه"فلسفة العلم،مقدمة معاصرة" إلى صعوبة ضبط مصطلح العلم،وذلك يعود في نظره خاصة "عندما نكون إزاء نوعين من العلوم لم تتحقق لهما الدقة والضبط ما تحقق للعلوم الطبيعية أو عندما نكون إزاء أنماط من المعرفة تحاول أن تتزيل بزي العلم وهي أبعد ما تكون عنه"[9].

تعود كلمة علم Science في اشتقاقها اللاتيني scientia إلى المعرفة knowledge وهي بمعناها الأشمل كل معرفة منهجية أو ممارسة تؤدي إلى نتائج أو تنبؤات لأشياء من الممكن التنبؤ بها في هذا المعنى.[10]

يتميز العلم بجملة من الخصائص التي تميزه عن المعارف الأخرى ،نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر ما يلي:

-الصياغة الدقيقة للمفاهيم المختلفة وتكميم النتائج وصولا إلى تعميمها على الحالات الجزئية المشابهة في قانون واحد يعبر عنه بدالة رياضية ضمانا للدقة وتوخيا للموضوعية .

-استخدام المنهج العلمي:من المعروف في قاموس المعارف العلمية أن أي علم لا يكتمل نضوجه وظهوره إلا بمقدار توظيفه لمنهج دقيق وموضوعي ينسجم مع طبيعة الموضوع التي تحدد نوعه،ومن هنا تم اكتشاف المنهج التجريبي القائم على الفرضية والملاحظة والتجربة والتخلي عن المنهج التأملي الفلسفي الذي لا يتناسب مطلقا مع طبيعة الظواهر الطبيعية.

-الموضوعية: تتصف المعارف العلمية على تعددها بالموضوعية أي استقلال الذات عن الموضوع المدروس،بعيدا عن الذاتية والميول والأهواء الشخصية للباحث مما

---

[9] أليكس رونبرج:فلسفة العلم،مقدمة معاصرة،ترجمة أحمد عبد الله السماحي وفتح الله الشيخ،مراجعة:نصار عبد الله،ط1، المركز القومي للترجمة،القاهرة،العدد 1693،2011،ص07

يمكّن من الحصول على نفس النتائج من باحثين متعددين متى توفرت نفس الأسباب والظروف،ما يكسب القوانين العلمية صفة العالمية والوحدوية.

-التراكمية:

يعتير الكثير من الباحثين أن من سمات البحث العلمي التراكم ،فلا يتيسر أي بحث علمي إلا بالأبحاث والاكتشافات السابقة وفي مجالات متعددة،أي أن لكل كشف علمي شجرة أسباب أدت إليه،مثلا:لم تكن الهندسات اللاإقليدية لتظهر لولا هندسة إقليدس،ولا مكان في العلم للصدفة والتولد التلقائي،بل إن العلم كما يقول جورج سارتون هو النمو الوحيد للخبرة الإنسانية[11]،لكن هذا لاينفي مطلقا الصفة الثورية عن التطور العلمي،فالنظريات العلمية هي كشف جديد وتقدم قطائعي مع النماذج القديمة.

ب/ العلاقة بين الفلسفة والعلم:

إن طبيعة العلاقة بين الفلسفة والعلم تظهر من خلال مستويين هما:

_ **المستوى الأول** : إن الانسان كلما طرح أسئلة كعادته وحصل من ورائها إجابات ناجحة، ثابتة، ودقيقة شكلت هذه الإجابات جانبا من رصيدهما في المعرفة العلمية أي صارت وأصبحت علما، ومن هنا فكل الموضوعات العلمية الراهنة كانت تعتبر جزءا من الفلسفة ومثال ذلك أن الفلسفة في بحثها عن المادة وتركيبها وتفسيرها كانت تشمل الفيزياء، الكيمياء، الطب، والبيولوجيا ...الخ، والفلسفة في مسعاها المتعلق بمحاولة فهم العقل والنفس كانت تشمل ما أصبح يسمى اليوم علم النفس.

_ **المستوى الثاني:** إن ما يسمى الآن بفلسفة العلوم لهو دليل واضح على مدى متانة و قوة الارتباط بين الفلسفة والعلم، هذه الفلسفة عبارة عن حركة نقدية تحليلية لمبادئ ومفاهيم، ومناهج العلم، وتشكل النظريات العلمية ومسارها التاريخي، ومن بين الاسئلة التي تطرحها فلسفة العلوم- ما هي العلاقة بين القانون العلمي والملاحظة، والتجربة؟ ما هو الفرق بين المعرفة العلمية في العلوم الطبيعية والمعرفة العلمية في العلوم الاجتماعية؟ هل المعرفة العلمية مبنية على التراكم والتواصل أم أنها تقوم على نوع من الثورات العلمية والقطيعة المعرفية؟ هل المعرفة العلمية مطلقة أم نسبية؟ ، إن كل هذه الاشكاليات وغيرها هو ما يمثل صميم العلاقة الجوهرية والتاريخية بين الفلسفة والعلم.

هذا ونشير إلى أنه ثمة علاقة وطيدة بين مختلف العلوم الانسانية والفلسفة رغم الانفصال النسبي بينهما[12] فعلم السياسة على سبيل المثال هو ذلك العلم الذي يدرس

---

[11] صلاح قنصوة:فلسفة العلم،ص57.[

12 استقلت الفيزياء عن الفلسفة في القرن 17م بفضل **"غاليلو، وديكارت، ونيوتن"**، واستقلت الرياضيات في القرن السابع عشر أيضا والكيمياء في القرن 18م على يد **"لافوزييه"**، والبيولوجيا

عامة حقوق وواجبات الأفراد وعلاقة الأفراد بالسلطة في إطار الحكومة، والمؤسسات السياسية والعمليات التي ترتبط بها، حيث يستند علم السياسة في نشأته إلى **"محاورة السياسة" لأفلاطون وكتاب "السياسة" لأرسطو**، بالإضافة إلى أنه تطور على يد فلاسفة من أمثال **ميكيافيلي، توماس هوبز، مونتيسكيو، جون لوك**...الخ.

أما عن علاقة الفلسفة بعلم التاريخ فتظهر من خلال ما يعرف بفلسفة التاريخ التي تهتم بدراسة الأحداث التاريخية بهدف الكشف عن النظريات الفلسفية التي تفسر حركة التاريخ والقوانين التي تتحكم في هذه الحركة، وكنموذج عن هذه الاشكاليات التي تطرحها فلسفة التاريخ في هذا السياق نجد إشكالية تفسير التاريخ فهناك من الفلاسفة من ذهب لتفسير التاريخ تفسيرا غائيا، وهناك من فسره تفسيرا روحيا، وهناك من فسره تفسيرا ماديا [13]

إن عدم التوافق بين الفلسفة والعلم ليس معناه الاختلاف والتباين بينهما،ثم الانفصال والتفرقة بل نشير إلى حقيقة تاريخية هامة و هي العلوم نشأت في أحضان الفلسفة و هذا وضح في مدرسة أيونيا عند الفلاسفة الطبيعيون الأوائل أمثال طاليس و غيرها هم كانوا يبحثون عن المصدر الأساس و العنصر الجوهري الذي يقف و راء التغيرات التي تحدث في الكون. ورغم الاختلاف بين طبيعة العلم و الفلسفة إلا انه يوجد بعض الفلاسفة حاول الجمع والصلة بينهما في محاولة لتغيير طبيعة الفلسفة لتتفق مع طبيعة العلم و من هؤلاء نجد الفيلسوف الألماني فريديريك هيجل الذي قال:« أن الأمر الذي عقدت عليه العزم هو المشاركة بجهدي في أن تقترب الفلسفة من هدفها و تتمكن من طرح الاسم الذي توصف به و هو حب العلم من اجل أن تصبح علما حقيقيا.» و مما لاشك فيه أن من القواسم المشتركة بين العلم و الفلسفة و صلات القربى هي أن تطور العلم هو تطور للفلسفة، فتطور الفكر الفلسفي ارتبط إلى حد كبير بتطور العلم. و لو رجعنا إلى بعض محاورات أفلاطون اليوناني لتحققنا من أن اكتشاف الفيثاغوريين لبعض الحقائق الرياضية « لأن العدد هو الحقيقة المعقولة المفسرة لظاهرة الصوت

على يد كل من **"برنارد، ولا مارك"** في القرن التاسع عشر ، وأخيرا العلوم الإنسانية والاجتماعية في النصف الثاني من القرن 19 م على يد **أوغست كونت**.

13 هناك العديد من النظريات التي فسرت التاريخ من بينها نظرية **التعاقب الدوري** التي قال بها كل من **ابن خلدون، وفيكو** ونظرية العناية الإلهية عند **"القديس أوغستين"** ونظرية التقدم الإنساني مع **"فولتير وكوندرسيه".**

المحسوسة فيمكن أيضا أن يكون الحقيقة المفسرة لجميع الأشياء سواء منها المحسوسة أو العقلية.[14]

رغم الاختلاف والتمايز بين كل من العلم والفلسفة إلا أن هذا لا ينفي وجود علاقة وظيفية بينهما قائمة على التكامل والتداخل،ولقد شبّه أليكس رونبرج علاقة الفلسفة بالعلم بعلاقة الناقد بالمبدع،ففلسفة العلم ما هي في جوهرها إلا نقد للعلم،وهي تقوم بما يقوم به الناقد في مجال من المجالات من تحليل وتفسير العمل محل النقد ثم تقييمه وإيضاح مدى اقترابه أو ابتعاده عن الصورة المثلى للإبداع[15]

إذن إن الفلسفة تُخضع العلم للدراسة النقدية من ناحية الموضوع والمنهج والنتائج،كون أن العلم كما يقول هايدغر"لا يفكر في ذاته"،أي أنه لا يعتني كثيرا بذاكرته -على حد تعبير يمنى طريف الخولي-ولا يلتفت إلى ماضيه،وهنا تضطلع الفلسفة بهذا الدور أي التفكير في ذات العلم في منهجه ومنطقه وخصائص المعرفة العلمية وشروطها[16]

وانطلاقا من هذه العلاقة تولد فلسفة العلوم والتي تعتبر حلقة الوصل بين الفلسفة والعلم،فهي إذن الدراسة النقدية لمبادئ العلوم وفروضها ونتائجها وقوانينها التي تقوم عليها،ومن ثمة الكشف عن أصولها وأبعادها الابستمولوجية التي تقبع خلفها وهي فرع جديد من فروع الفلسفة يقصر اهتمامه بالعلم دون غيره من المواضيع،لكن هذا لا ينفي مطلقا وجود مثل هذه الدراسات من قبل،والتي كانت متضمنة في الكثير من

نظريات الفلاسفة،حيث أن الكثير مما تقوم به فلسفة العلوم على صعيد المفاهيم والطرق المعرفية والمنطقية

والمناهج،قد قام به الفلاسفة والعلماء من قبل،حتى وإن لم يكن المصطلح قد استخدم عندهم لأنه ظهر حديثا،وما الدراسات النقدية للطرق المعرفية والمنطقية إلا جزء من العمل الذي تقوم به فلسفة العلم.[17]

موضوع فلسفة العلم وغايته:

---

[14] أميرة حلمي مطر، **الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها**، دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، 1998 ، ص 74.

[15] أليكس رونبرج:**فلسفة العلم**،مرجع سابق،ص 09.

[16] يمنى طريف الخولي:ص11

[17] محمد عابد الجابري،مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،ص ص 132،131.

تتناول فلسفة العلم بالدراسة والتحليل والنقد عدة موضوعات،يمكن تلخيصها فيما يلي:

أ-المعرفة وأنواعها:أمثال المعرفة الحسية والمعرفة العقلية والمعرفة التجريبية والمعرفة الحدسية وغيرها من المعارف العلمية لبيان درجة اليقين فيها وحدودها ومدى قدرتها من الوصول إلى الحقيقة والموضوعات التي تتعامل معها هذه المعارف،ومدى إمكان تحقيق اليقين فيها،وبيان الشروط المنطقية الصحيحة لها.

ب-مناهج البحث العلمي:أي دراسة مختلف الطرق المنطقية التي تعتمدها هذا المناهج في الوصول إلى الحقيقة وبهذا تتجه بالمناقشة والتحليل لموضوعات مثل القياس ،الاستقراء،الاستدلال وبيان درجة اليقين فيها لتحقيق درجة عالية من الصدق والدقة في تركيبها وتكوينها.

-المفاهيم العلمية:حيث تقوم فلسفة العلم بتحليل ونقد هذه المفاهيم للوقوف على الشروط المنطقية في تعريف هذه المفاهيم وعلاقة بعضها مع البعض الآخر[18]

-نقد جملة من الافتراضات التي يقوم عليها الفكر العلمي أو ينطلق منها في بناء نظرياته وتقديم تفسيرات لتنبؤاته،بالإضافة إلى نقد الواقع المعرفي للعلوم من حيث نسقه ومستوى تقدمه وطبيعة البناء الذي يضعه العلم أيا كان موضوعه ومنهجه ونتائجه[19]

-كما تعمل على الاستفادة من نتائج العلم وتوظيفها لخدمة الإنسان والإنسانية.

يمكن حصر غاية فلسفة العلم في محاولة عقد الصلة بين الفلسفة والعلم،التقريب بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية وتوحيد البناء الداخلي للإنسان الذي تشكلت بداخله ثقافتان متمايزتان:علمية وأخرى نفسية إنسانية،ومن ثمة توحيدهما في بوتقة واحدة وثقافة واحدة سواء على الصعيد الإجتماعي أو البناء الفكري،كما تساهم فلسفة العلوم في توحيد جميع الاتجاهات الفلسفية والعلمية تحت راية الحقيقة ووحدتها العلمية،وإيجاد منطق عام تنطوي تحت لوائه كل العلوم وتستمد منه الشروط المنطقية في التعامل مع موضوعاتها مما يؤدي إلى وحدة العلوم[20]

---

[18] محمد عابد الجابري:مدخل إلى فلسفة العلوم:المرجع السابق، ص،ص135،136.

[19] عبد العزيز بو الشعير:مقالات في الدرس الابستمولوجي،مرجع سابق،ص ص22،23.

[20] روبير بلانشيه:نظرية المعرفة،ص ص 35،37.